

## رسالة في النفس والطبيعة

يزيد بدر

September 17, 2021

"لسنا على أي اتصال بالوجود لأن كل طبيعة بشرية هي دوماً متوسطة بين الولادة والموت، فلا تبدي من ذاتها سوى مظهر غامض وخيال، وسوى ظن متقلقل واه، وإن اتفق لك أن يعلق فكرك بابتغاء فهم وجودها (النفس) فمثله مثل من يبغى القبض على الماء وبقدر ما يتشدد في الضغط يزيد في اطلاق ما يريد إحرازه وقبضه" معبد دلفي

"كل معرفة فهي في نظرنا شيء حسن جليل ومع ذلك فنحن نؤثر معرفة على أخرى إما لدقتها وإما لأنها تبحث عما هو أشرف وأكرم، ولهذين السببين كان الجدير أن نرفع دراسة النفس إلى المرتبة الأولى، ويبدو أيضاً أن معرفة النفس تعين على معرفة الحقيقة الكاملة" أرسطو

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

:الإسراء. (85)

يهدف هذا البحث رأساً إلى وضع "أساس"<sup>1</sup> فلسفي يستنبط منه بقية المباحث الإنسانية بعامة، ويتخذ من مبحثي النفس والطبيعة خيطاً هادياً لبلوغ القصد، والنفس التي نخرج بها هي مجموع الصفات النابعة عن الدماغ-جسد<sup>2</sup> وهذه الصفات محكومة بنظرية "التغير"<sup>3</sup> والكون الذي نعيش فيه أي الطبيعة محكوم هو الآخر بقوانين التغير كالديناميكا الحرارية.

ومن المهم التأكيد على أن هذه الرسالة تأتي نقيضاً لمبحثي الميتافيزيقا والإنطولوجيا حيث تم تعيين هذه المفردات منذ فجر الفلسفة بوصفها مباحث في الوجود المطلق أو الثابت أو المجرد الخ " والواقع أن السؤال الذي طرح منذ زمن بعيد لا يزال قائماً وسوف يظل يربكنا وهو ما الوجود؟ وهو بعبارة أخرى ما الجوهر؟" (أرسطو، 2009، ص413) إلا أننا سوف نتوصل إلى بديل عن مفاهيم من قبيل الوجود والجوهر إلى مفهوم "الحدث" والذي يعني حدوث الذرات في الكون حسب الظروف الوقتية، وليس للذرات صفات كما سيقول كلا من لوقيبوس وديمقريطس وأبيقور بل للذرات صفات تتحدد مع مسيرة العلم دون رفع هذه الصفات للقيمة المطلقة العابرة للزمان، إلا أن للذرات صفة واحدة وهي أنها قابلة للقسم المتناهية وليس اللامتناهية إذ للكون بداية فلكل بداية نهاية ومن ثم كل شيء متناهي ونسبي. وسوف أبدأ بنظريات النفس دون التعرض لها كلها بل بما يتناسب مع المقام وكتقسيم بيداغوجي أقول نظريات النفس أربعة:

1- النفس الميثولوجية

2- النفس الفلسفية

3- النفس اللاهوتية

4- النفس العلمية/التطورية

<sup>1</sup> لفظي أساس ومبدأ نذكرهما بتحفظ حيث لا يعني الأساس أو المبدأ ما يوجد بإطلاق ولا يتبدل بل لب هذا المبحث هو نقد هذه الرؤية الجوهرانية للعالم

<sup>2</sup> أكتبها دماغ-جسد حتى لا تكون هناك مركزية حول الدماغ كما لو أنها يقوم بالعملية الإدراكية وحده دون مأزرة الجسد

<sup>3</sup> أي نظرية التطور وسيأتي بيان لماذا التغير وليس التطور

## منشورات جمعية الفلسفة

وسوف أركز على (1) و(2) وسيأتي الفصل الثاني بمجموعة من المسلمات وتركت للقارئ مهمة استنباط رؤيتي للنفس، كما أنني أخذت اشرح هذه المسلمات واشتقاق ما أمكن دون إطالة.

1- يأتي هذا البحث من أجل الإجابة عن سؤال متجدد وهو: هل بالإمكان أن يكون للفلسفة منهج<sup>4</sup>؟ أو بصياغة أخرى: كيف يكون المنهج الفلسفي ممكناً؟ ولكل سؤال خيط هادئ يقودنا نحو الإجابة عليه، وسوف أتخذ في البدء معضلة عويصة وأعني ماهية الإنسان<sup>5</sup> وحتى يكون الأمر بيننا من تلقاء ذاته علي أن أضع تمهيدا لهذه المهمة التي اضطلع القيام بها أي وضع منهج للفلسفة يرفعها عن بقية العلوم ومع ذلك ينسجم معها ويتحرك بحركتها. والسبب في اتخاذ الإنسان وماهيته بداية للبحث يرجع لأمرين أساسيين وهما:

أ- أن كل خطاب يضمّر في طياته تصورا ما عن ماهية الإنسان

ب- لا يغيب عن المتأمل في تاريخ الفلسفة "مركزية" هذا السؤال لذلك سوف أعين في البداية حديثين يعدان في غاية الأهمية لوضع سؤال: ما الإنسان؟ نصب أعيننا<sup>6</sup> الأول ورد في محاوره فايدروس حيث يقول سقراط مبينا سبب اعراضه عن تفسير الأساطير " غير أنني لا أضيع وقتي في البحث عن هذه التفسيرات والسبب في ذلك يا عزيزي هو أنني لم أستطع حتى الآن معرفة نفسي على نحو ما قد كتب في دلفي، وكم يبدو لي الأمر مضحكا حين يحاول من ينقصه هذه المعرفة البحث فيما هو غريب عنها"

<sup>4</sup> المنهج هنا بمعنى الطريق الواضح لتناول القضايا التي تصادف الإنسان، وقد وضع الرازي هذا الفرق في شرحه على تنبيهات ابن سينا أي بين النهج والنمط

فالأول هو الطريق الواضح بينما النمط ضرب من البسط، لذلك المنهج هنا في هذه الرسالة مطبق على بعض القضايا كما سيأتي بيانه من تدرج البحث.

<sup>5</sup> سؤال الماهية ذاته لا يخلو من شحنة ميتافيزيقية وصار لهذا السؤال أبعادا عدة عبر التاريخ وهو ما سيكون لنا وقفة تفكيكية حول هذا السؤال والذي

تأسس منذ البدء على ميتافيزيقا/ انطولوجيا محددة ولن نهتدي لمنهج قويم دون اللجوء للتاريخ ونقده والتاريخ بعبارة شيلنغ يعد "معمل الفيلسوف".

<sup>6</sup> جدير بالذكر أن هذين الحديثين ليسا هما الوحيدين لوضع معضلة ماهية الإنسان أمام النظر، وكان معيار اختيار هنا هو البعد الفلسفي لهذين الحديثين،

مع التنبيه على أن المؤلف حذر من وضع الثنائيات وهذا سيكون بينا عند فصل المنطق من هذه الرسالة، كما أنني أنبه بأنني في كثير من الأحيان أضع علامة " وتعني أن اللفظ لا يؤخذ كما هو متداول في الفضاء الفلسفي أو الفضاء العام.

## منشورات جمعية الفلسفة

(أفلاطون، 2000، ص 37) وفي ذات المعنى يحث سقراط تلاميذه قبل الموت على الاهتمام بالذات "هاكم أوامري اهتموا بأنفسكم أنتم" (أفلاطون، 2015، ص 119)<sup>7</sup> أما الحدث الثاني فهو تنتم لهذا التاريخ الطويل لوضع الإنسان في إطار ميتافيزيقي أو انطولوجي، ومنه ندرك صعوبة الأمر المدروس، وقد ورد عند فوكو حيث يعلن " يمكن الرهان أن الإنسان سوف يندثر، مثل وجه من الرمل مرسوم على حد البحر " (فوكو، 2013، ص 422) وفي موضع آخر " كل ذلك يدل بدون شك على أن الإنسان مشرف على الموت " (420) والسؤال الذي يتبادر إلى ذهن القارئ بعد هذا كله : هل نزمع إلى بعث الإنسان من جديد؟ كلا لا أريد ذلك بل سيكون غايي هو وضع إطار عن الإنسان في البدء ومن خلاله نستنبط "ماهية" العالم الذي يسكن فيه، وبعد ذلك ننظر في شأن المنهج متخذنا من "أسس"<sup>8</sup> المنطق ونقده ركيزة أساسية لبيان المنهج الفلسفي الرصين أو هكذا أراه.

ما الإنسان؟

2- سؤال الما أي ما الشيء يلقينا مباشرة إلى أرض الميتافيزيكا، وهذه المواجهة ليست من قبيل الضرورة المنطقية بل هي مصير تاريخي<sup>9</sup> جعل كثير من المشتغلين في الحقل الفلسفي لا يعون ثقل الإرث الثاوي داخل سؤال الماهية، فأن تسأل عن ماهية الشيء أي أنك تريد تلك الصفة التي لا يكون الشيء إلا بها، كما لو قلت للمثلث ثلاث زوايا فلو رفعت زاوية ما فلن يكون المثلث مثلا<sup>10</sup> ولكن لم يكن تصور

<sup>7</sup> وهذا المعنى لمعرفة النفس أو الذات أو الروح سيكون له أبعاد في الرؤى الثيولوجية ومنه ما نقل ابن سينا في رسالة معرفة النفس الناطقة عن أحدهم قوله "

من عرف نفسه فقد عرف ربه" ويقيد الأمر بالنفس لا الجسد حيث يرى لو كان القصد هو الجسد لكان للكل معرفة بالرب.

<sup>8</sup> الأسس المنطقية هنا تعني الأسس العميقة بعبارة ديوي أي الأرضية الميتافيزيقية التي يبني عليها المنطق، وسوف ننقل هذه الأرض إلى الفيزياء كما سيتبين في

البحث

<sup>9</sup> يجب أن أنبه بأن لفظ المصير ليس له أي دلالة عقديّة أو لاهوتية ولا أيضا معنى تاريخاني كما نراه في نقد كارل بوبر والذي يعني حتمية الأفكار وتحققها

ماضيا وحاضرا ومستقبلا، بل المصير هنا بمعنى تلقائية حركة التاريخ وسوف أشرح ذلك عند حديثي عن مفهوم المحددات المسبقة أو مسارات العيش الإنساني

<sup>10</sup> في هذا المثال يجب الحذر من قراءة الإنسان بالمعنى الرياضي أو الهندسي كما تجسد ذلك عند سبينوزا حيث أن العلاقة بين الماهية والوجود تلازمة فلو

فرض وجوده فرضت ماهية كالمثلث وزواياه، وكذلك لا نقف مع الموقف المضاد والذي يجعل من الماهية شأنًا ذاتويًا تخلقه الذات بكامل حريتها كما ذكر ذلك سارتر في

محاضراته عن الوجودية.

## منشورات جمعية الفلسفة

الإنسان والعالم بذلك الوضوح والتمايز الذي يضع حدودا واضحة للأشياء كالتمييز الحدي بين النفس والجسد حيث أن سؤال الماهية يقود إلى مبدأ الهوية والذي به يكون التمايز والفرقة بين أ و ب فالماهية حسب الجرجاني في التعريفات "تطلق غالبا على الأمر المتعقل مثل المتعقل من الإنسان وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجي، والأمر المتعقل من حيث أنه مقول في جواب ما هو يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار هوية، ومن حيث حمل اللوازم له ذاتا، ومن حيث يستنبط من اللفظ مدلولاً ومن حيث أنه محل الحوادث جوهرًا" (الجرجاني، 2014، ص193) مع ذلك لم نضع إجابة عن السؤال المضمّر في البداية وهو: كيف صار السؤال في حد ذاته ميتافيزيقيا؟ لن أضع جوابا هنا فالأمر يتطلب جهدا في البحث عن أصل المسألة، وأرخنة الموضوع بحيث يكون أكثر وضوحاً<sup>11</sup> لذلك من المهم أن نكون حذرين عند التمشي في تاريخ الأجوبة والرؤى حول ماهية الإنسان، وأن نعي بأن الأمر لم يأخذ بعدا أحاديا بضربة واحدة

3- قبل ولوج الرؤى الفلسفية التي حددت ماهية الإنسان ينبغي أن أزيل لبس شائعا عند المشتغلين في حقل الفلسفة، وهذا اللبس يخص فلاسفة ما قبل سقراط pre-Socratic philosophy حيث يرى الكثير بأنهم فلاسفة طبيعيين بمعنى آخر درسوا العالم من زاوية مادية كما يفهم من هذا اللفظ حديثا، وفي نظري يعد هذا اسقاطا تاريخيا على هؤلاء، وقد تنبه لهذا الأمر هايدغر إلا أنه لم يبرهن على صحة قوله إلا بعزو الأمر إلى الترجمات اللاتينية التي في نظره حرفت المعنى الأصيل للفظ الطبيعة physis (فيسس) ومنها مفردة nature وعليه يبقى السؤال الملح: ما الطبيعة عند هؤلاء الفلاسفة؟ وما المنهج الآمن لمعرفة قصد هؤلاء عندما يقولون الطبيعة وكتبوا في الطبيعة؟ ليس من سبيل لفض هذا النزاع حول معنى الطبيعة إلا بالعودة إلى النصوص اليونانية ذاتها، وقد فرضت على نفسي أن يكون أرسطو خيطا هاديا نحو فهم معنى الطبيعة، وذلك من خلال نصوصه والتي يذكر فيها الفلاسفة المتقدمين، في البدء نورد هذا النص لأرسطو وهو في غاية الأهمية " وأيضاً من الوجهة الاشتقاقية فإن لفظ الطبيعة مرادف للفظ النشوء والتكون وعلى ذلك فإن الطبيعة بوصفها نشوءاً تظهر ذاتها كما لو

<sup>11</sup> لا يخفى على القارئ بأن لفظ "الأصل" فيه كثير من الجسارة على التاريخ، لذلك لا أتفق مع جينالوجيا نيتشه أو أركولوجيا فوكو وإن كانت تختلف عن

الأول، فالأصل هنا ليس إلا مسلكا بيد اغوجيا ومنهجيا حتى يستقيم المقال.

## منشورات جمعية الفلسفة

كانت طريقا يؤدي إلى طبع أو انطباع بوصفه غاية" (أرسطو، ص 45) وفي نفس المعنى يقول هايدغر عن مفهوم الطبيعة هي " الازدهار الذاتي والظهور والانبثاق على سبيل المثال تفتح وازدهار الزهرة، الانفتاح الانكشاف وتعني أيضا ذلك الذي يتجلى في هذا الانكشاف ويحافظ عليه ويبقى ويستمر فيه" (هايدغر، 2015، ص215) يريد هايدغر أن يرسخ من خلال هذه الترجمة مفهوم الوجود/ الكينونة التي قال بها في كتابه الكينونة والزمان، إلا أنه في كتابه هذا ينطلق من الدازين بينما في كتاب مدخل للميتافزيقا ينطلق من الوجود ولست معني بشرح فلسفة هايدغر، ولكن ما يهمني هو أن أثبت هذا الفرض دون الموافقة على ما قاله هايدغر، وبالجملة تنحصر معاني الطبيعة عند فلاسفة ما قبل سقراط في ثلاث:

- أ- الطبيعة الاحيائية أي التي لا تمايز بين النفس كقوة روحية وبين الموجودات
- ب- الطبيعة بالمفهوم الهايدغري
- ت- الطبيعة كما هي في العلم الحديث أي المادة المحكومة بقوانين ثابتة<sup>12</sup>

الفرض الذي أرتضيه هو أ وسوف أثبت هذا الفرض من خلال نصوص أرسطو والتي تشير إلى رؤية روحانية للطبيعة عند هؤلاء.

4- يذكر أرسطو في كتاب النفس " يبدو أيضا أن طاليس فيما يروى عنه ذهب إلى أن النفس قوة محركة إن صح ما يروى عنه من أنه زعم بأن في حجر المغناطيس نفسا لأنه يجذب الحديد" (أرسطو، 2011، ص14) إن مفهوم الحركة سيكون محوريا في الفلسفة اليونانية وتحديدًا كصفة من بين صفات أخرى تخص النفس، وهذا النص يبين كيف رأى هؤلاء الفلاسفة للموجودات من زاوية روحانية، وذلك من جهة أن لها خاصية الحركة، لذلك كان عند اليونان فرق بين الحركة الدائرية وهي أكمل الحركات والحركة المستقيمة التي نختلف من حيث المنزلة عن الأولى<sup>13</sup> والمهم هنا لفت النظر إلى السمة الأساسية عند المدرسة الأيونية والإيلية، ومما ينسب أيضا لطاليس وفيه بعدا واضحا لروحنة الطبيعة " وهناك بعض

<sup>12</sup> الثبات هنا لا يغفل ما لفيزياء الكوانتم من أثر على الديناميكا الكلاسيكية، ولكني لا أسلم بثباتية ثبات/تغير وسوف يتضح هذا في فصل المنطق.

<sup>13</sup> وثمة هنا مفارقة طريقة وهي أن الفيزياء الحديثة سيكون لها موقف إيجابي من الحركة المستقيمة وأعني مبدأ العطالة الذي صاغه كلا من غاليليو وديكارت

## منشورات جمعية الفلسفة

الفلاسفة يزعمون أن النفس ممتزجة بالعالم كله ولعل من هنا قد جاء ما ذهب إليه طاليس من أن كل شيء مملوء بالآلهة" (36) وإذا كانت النفس كما في النص السابق علة الحركة والنفس بدورها ممتزجة بالعالم كله وليس بعضه تبين لنا أن الآلهة والحركة شيء واحد وعليه لا يمكن القول بأن الطبيعة هي ما نفهمها اليوم بوصفها مادة مكتفية بذاتها لا روح فيها ومحدودة بالزمان، بل من صفات الطبيعة القارة عندهم الامتزاج وتداخل الأضداد فيما بينها والذي سيضع صياغة أصيلة لأحد القوانين المهمة في تاريخ الفيزياء وأعني لا شيء يصدر عن لا شيء " اللانهائي هو المادة الأولى للأشياء الكائنة وأيضا فإن الأصل الذي تستمد منه الموجودات وجودها هو الذي تعود إليه عند فنائها طبقا للضرورة وذلك لأن بعضها يخضع لحكم العدل ويصلح بعضها الآخر يجب أن يعاقب وأن يكفر بعضها عن بعضها الآخر لما قامت به من ظلم تبعا لنظام لحكم الزمان" (الأهواني، 2020، ص84). وقد نقل أرسطو حاجة منطقية من حيث صورتها تكشف عمق الأرضية الميتافيزيقية عند فلاسفة ما قبل سقراط<sup>14</sup> فلا وجود للكون والفساد إذ الكون والفساد يشترطان ضرورة الوجود أو اللاوجود، وكلا الأمرين محال فكيف ينال الوجود من كان له وجود أصلا ويستحيل أن يكون من العدم فلا شيء يصدر عن لا شيء ومن ثم لا كون ولا فساد<sup>15</sup> ومن المعلوم أن هؤلاء الفلاسفة فسروا كل شيء بالمبادئ الأولى التي توصلوا إليها كالماء والهواء والنار والتراب، ومنهم من أخذ بعدا آخر كالأعداد<sup>16</sup> ومنهم من وضع مبدأ مبهم

<sup>14</sup> من الضروري التنبيه على أن القسمة بين قبل سقراط وبعد ليست إلا إشارة تاريخية لا تذهب مع الرأي الشائع بأن الفلسفة لم تكن مهتمة بالأخلاق أو

بالعقل النظري إلى أن جاء سقراط/أفلاطون.

<sup>15</sup> وهذه الحجة تجسد الوجود عند بارميندس وسوف يكون لها أثر بالغ على تاريخ الميتافيزيقا والأنطولوجيا وأعني تراتبية الوجود أفلاطون سيقم تراتبية بين

الوجود المحسوس والوجود العقلي ويتوسطهم الرأي أو الدوكسا بينما أرسطو سيحل المعضلة بوضع مفهومين أساسيين أي الوجود بالقوة والوجود بالفعل والذي يعني بصياغة أرسطية (الوجود يقال على أنحاء عدة) وهذه التراتبية الأنطولوجية لن يتحقق نقدها بفتنة إلا مع سينيوزا الذي قال بالجواهر المحابث والذي لا يدرك منه إلا صفاته اللاهائية ومن الإنسان إلا حال من أحوال الوجود وليس جوهر كالأنا الديكارتية ومن أتفق معه.

<sup>16</sup> لا يمكن أن أسلم بأن العدد عند فيثاغورس وتلاميذه كان ضربا من التجريد بل ظاهر من نصوصه أنه يجعل من الرياضيات والهندسة تدريبات روحية

وهذا هو المعنى ذاته الذي سيأخذه أفلاطون ويضعه على مدخل الأكاديمية وليست الرياضيات كلغة رمزية تسهل لنا قياس العلاقات الطبيعية كما هو اليوم.

## منشورات جمعية الفلسفة

وأعني انكسمنديس الذي قال بالأبيرون<sup>17</sup> وهناك نصوص عديدة لأرسطو تثبت ذات المعنى أي أن المبادئ الأولى التي فسروا بها العالم كانت بسيطة وغير مركبة، فالنار مثلاً التي قال بها هيراقليطس ليست هي ذات النار التي ندركها بالحواس<sup>18</sup> ولهذا ذهب بعض الفلاسفة إلى أن النفس نار لأن النار ألطف العناصر وأشدّها لاجسمية" (أرسطو، 2011، ص 13) ثم يذكر تفصيلاً أكثر عن هيراقليطس " النفس مبدأ لأنها عنده البخار الذي تنشأ منه سائر الأشياء" (14) ثم يضع أرسطو خلاصة معبرة وفيها جل ما أردت لبيانه " وهكذا يحد جميع هؤلاء الفلاسفة النفس بصفات ثلاث: نعني الحركة والإحساس واللاجسمية" (15) وقد تبين مما ذكر أن ما هيّة الحركة وسوف يأتي بيان ما هيّة الإنسان بتفصيل أكثر. ونجد في السماع الطبيعي بيانا ابستمولوجي حول علة هذه التفسيرات " فمنهم من أتخذ مفاهيم أكثر وضوحاً بالنسبة للعقل ومنهم من نظر في معاني أجلى بالنسبة للحس" (أرسطو، ص 27) وقبل أن أختتم هذه الفقرة<sup>19</sup> يظل من الجائر أن يسأل: هل تصوروا هؤلاء الفلاسفة النفس والعالم من خلال مبدأ واحد أو أكثر؟ في الحقيقة علينا أن نعي بأن ما هو مبدأ فهو الأصل الأول الذي يعود إليه كل شيء ولا يسبقه شيء في الوجود، فلو كان الماء أو العناصر الأربعة كلها مبدأ للعالم فذلك يعني أن النفس تعود لهذا الأصل كما العالم وسوف يكون ذلك أكثر وضوحاً عند الحديث عن ما هيّة النفس وخاصة عند أنبادوقليس.<sup>20</sup>

<sup>17</sup> من وجهة نظري يعد الأبيرون ممهداً للرؤى تعد تجردية كالوجود عند بارميندس والمثال عند أفلاطون والهيولي عند أرسطو.

<sup>18</sup> وسوف نرى عند حديثنا عن مفهومي المادة والشيء بأن أرسطو ذاته لم يتعد عن هذه التفسيرات الأسطورية.

<sup>19</sup> حتى لا يكون في الحجاج الذي وضعته لإثبات ما هيّة الطبيعة عندهم أي لبس أذكر على عجلة بأن مفاهيم الغلبة والحب والظلم والعدل والحرب والحب وغير ذلك مما فسروا به علة الحركة يثبت بأنهم لم يقيموا فارقاً بين النفس والوجد والعالم الذي أمامهم.

<sup>20</sup> في هذا البحث غالباً لا أميل إلى لفظ الوجود لما فيه من لبس وغموض، ومن جهة أخرى سيكون لنا وقفة لنقد هذا المفهوم ويندرج معه مفاهيم أخرى تعد من المترادفات كالأنا المتعالية والعقل الكلي وغير ذلك مما سيأتي بيانه.



## منشورات جمعية الفلسفة

5- تبين مما سبق كيف يتصور هؤلاء الفلاسفة الإنسان بعامه، ويلاحظ من نصوصهم التي وصلت إلينا أنهم لم يفرقوا بين النفس والجسد، وقد وضحت مفهوم الطبيعة لديهم وكيف أن القراءات الشائعة لا تنسجم مع هذه الحقبة من التاريخ، وحتى تلك القراءات التقديسية والتي تصبغ على هذه الحقبة هالة وجلال كما فعل كلا من نيتشه وهايدغر بجانب الصواب<sup>21</sup> مع ذلك يبقى أن نبين ماهية النفس عند أمبادوقليس وفيثاغورس لسببين الأول منهجي وهو وصول نصوص هؤلاء بشكل جيد وإن كان الثاني شذرات متفرقة أو نقلا من بعض المؤرخين، بينما الثاني وصل إلينا قصيدته في الطبيعة، وحرى بنا أن نبدأ بامبادوقليس:

أ- يقول في قصيدته " بالأرض نرى الأرض، وبالماء نرى الماء، وبالأثير نعرف الأثر الإلهي، وبالنار نعرف النار المهلكة، وبالحب ندرك الحب، وبالبعوض ندرك البعوض الشديد" (الأهواني، 2020، ص 228) فالنفس إذن مركبة من هذه العناصر، ومن يكون الإنسان مزيجا من هذه الأضداد، وفي نقد أرسطو يذكر بأن هناك ما يدرك ولكنه غير داخل في هذه العناصر ويعني الكليات كالإنسان والعدالة الخ، وهنا إشارة إلى أن صاحب البرهان لا يرتقي نقده هذا لمنزلة البرهان وذلك من وجهين، الأول أنه لا يسلم أصلا بمسألة الكليات فهل هي واقعية أم تصورية أم إسمانية، والوجه الثاني هل فعلا هناك ما يدرك أو يتحصل إدراكه "بالعقل" خارج العناصر الأربعة؟<sup>22</sup> فالإنسان إذن عند أمبادوقليس هو جملة العناصر الأربعة، ويلزم عن أقواله في الامتزاج والتداخل المستمر القول بالتناسخ أي استمرار النفس " ولا يمكن بأي حال أن يظهر شيء إلى الوجود مما ليس بوجود ولا أن يفسد ما هو موجود فهذا أمر مستحيل ولا يمكن سماعه لأنه موجود دائما على أي وجه تتصوره (الأهواني، 2020، ص 213) و " كلما امتزج الخالد بالخالد اجتمعت هذه الأشياء كيفما اتفق ونشأت أشياء أخرى كثيرة" (222) وكان له قصيدة بعنوان التطهير ومعلوم أن هذا المفهوم جاء عن طريق الديانة الاورفية السرية، وسيكون هذا المفهوم مركزي في اتيقا فيثاغورس وأفلاطون. أما فيثاغورس فهو لم يخرج عن نظرية العناصر في تفسير النفس " ويبدو أيضا أن مذهب الفيثاغوريين يتفق معهم في هذا الرأي فمنهم من قال بأن النفس غبار

<sup>21</sup> من المهم أن ننبه هنا بأن هذه الرؤية التأويلية لهذه الحقبة لا تريد أن تقول بأن التاريخ له خطة مرسومة سلفا كما شاع من بعد دروس هيغل في التاريخ.

<sup>22</sup> سوف أبين في محل آخر علاقة العناصر الأربعة بالاستمولوجيا بعامه.

## منشورات جمعية الفلسفة

الهواء" (أرسطو، 2011، ص10) ويؤكد ديوجين اللاطريُّ هذا المعنى " ملكات النفس عبارة عن سمات هواء نظرا لأن هذه الملكات غير قابلة للرؤية مثلها في ذلك مثل الأثير الذي لا يمكن رؤيته" (ديوجين، 2014، ص32)<sup>23</sup> والنفس عنده تنقسم إلى ثلاثة أقسام " الذكاء والعقل والانفعال" (32) فالذكاء والانفعال قوى تشترك مع الحيوان بينما العقل خالد لا يملكه إلا الإنسان، ومن الطريف ما يشير إليه ديوجين وفيه إشارة إلى عدم الفصل بين النفس والجسد " وتستمد النفس غذاءها من الدم" (32) وقد نقل الشهرستاني أربعة صفات للنفس " العقل والرأي والعلم والحواس ثم ركب فيه العدد على المعدود والروحاني على الجسماني"<sup>24</sup> (الشهرستاني، 2013، ص446) ولم يذكر ابن ابي أصيبعة في كتابه طبقات الأطباء شيء يخص النفس بل ركز على سيرته وشذرات من الوصية الذهبية. إلا أن ما أضيف في مبحث النفس من بعد فيثاغورس<sup>25</sup> مفهومان في غاية الأهمية كونهما سيشكلان عماد الأفلاطونية من بعد والثيولوجيا بعامة وأعني التناسخ والتطهير والذي يشير إلى انفصال النفس عن الجسد حتى تبلغ الحقيقة، ولهذا التطهير آليات نظرية وعملية، وقد رأى فيثاغورس بأن أصل العالم عدد ونغم، ومن الأعداد وتناسبها يكون النغم والايقاع، فلم تكن الأعداد

<sup>23</sup> في الحقيقة أن مفهوم اللامرئي أو اللامنطور حتى لا يختلط المعنى مع ميرولبنتي له خاصية محددة في الفلسفة اليونانية ويحتاج إلى دراسة مفردة حيث

يعتقدون كما ورد في نصوص افلاطون وارسطو وغيرهم بأن اللامنطور له طبيعة لا جسمية وفي هذا المعنى يذكر ارسطو في السماع الطبيعي " هناك سبب آخر جعل البعض يميز عنصرا ماديا كليا يثبته موضوعا من بين سائر تلك العناصر وإن كان البعض الآخر مثله بالهواء لأن من أخص خصائصه كونه أقل وضوحا بالنسبة للحواس المختلفة" (ارسطو، ص29) وذات المعنى سنصل إليه عند الحديث عن النفس عند افلاطون.

<sup>24</sup> نلاحظ أن الشهرستاني لاحظ في نصه الجمع بين النفس والجسد.

<sup>25</sup> وأغلب الظن أن التناسخ لم يؤخذ عن أحد الديار أو الأمصار بل هي نتيجة منطقية لنظرية الأضداد (هذا الرأي لأن لدي تحفظ على نظرية التأثير والتأثر بين

الحضارات).

## منشورات جمعية الفلسفة

منفصلة عن المحسوسات بل هي جزء منها،<sup>26</sup> لذلك ظهر لدى اليونان ما أسماه الرياضيات الروحية

وهي التي تهدف إلى تلك الصناعة المجردة التي ترفع الناظر إلى منزلة الوجود الحقيقي :

ب- والعدد هو موضوع فن الحساب والعدد؟

ت- بلا شك

ث- إذن فهما علمان من شأنهما أن يقودانا إلى الوجود الحقيقي؟

ج- هذا صحيح

ح- فهما إذن من بين العلوم التي ننشدها ذلك أن دراستهما ضرورية للمحارب من أجل تنظيم الجيش

وللفيلسوف أيضا لكي يصل إلى الوجود الحق ويعلو على عالم التغير وهو الشرط الضروري لإجادة علم

الحساب (افلاطون، 2005، ص 417) إلا أن مسألة تطهير النفس أو العناية بالنفس ليست داخلية في

ماهية النفس أو طبيعتها، بل هي نتيجة عن هذه المقدمات أي بحسب ما نضع في المقدمات الصورية

من مواد يلزم عنها نتائج محددة، وهذا داخل في الاتيقا<sup>27</sup> ما يهمني هنا هو أن النفس أخذت صفة

التناسخ مع فيثاغورس بشكل واضح " كما تحدثنا أساطير الفيثاغوريين أن تحل أي نفس في أي بدن

وهذا تناقض إذ يظهر أن كل بدن له صورة وهيئة تخصه"<sup>28</sup> (أرسطو، 2011، ص 24) وكانت الأورفية

تؤمن بالتناسخ ودورة الأنفس بعد أن تفارق البدن وهو ما يطلقون عليه عجلة الميلاد، وكما ذكرت

سلفا فالخلاص من هذه الدورة يكون بالتطهير من خلال سلوك نظري وعملي، وتأكيدا على نسبة هذا

<sup>26</sup> أقول هذا بشيء من التردد حيث أن المسألة تحتاج إلى تحقيق مستفيض فالعدد إما أن يكون جزءا للشيء أو كل، وهل الواقع عندهم هو المشاهد أم الوجود

المطلق أو الحق وهو الأرجح وإن كان هو الوجود المطلق فكيف يوفقون بينه وبين المحسوسات؟ وهل وقعوا في معضلة كما وقع أفلاطون في نظرية المثل وذلك في محاوره بارميندس.

<sup>27</sup> سيكون لفكرة التطهير ونكران الجسد سيادة على التاريخ حتى يومنا هذا، فهي موجودة عند الهندوسية والبوذية والأفلاطونية وتحديدا في محاوره فيدون

وعند بوثيوس في كتابه عزاء الفلسفة واعترفات القديس اوغسطين والصوفية كالفزالي وابن سبعين والحلاج والمحاسبي وابن عربي الخ.

<sup>28</sup> قلت هذا لتناقض الذي أشار إليه أرسطو ليس ملزم حيث ينطلق من مقدماته الميتافيزيقية ويفرضها على خصمه، فالنفس عندهم أي الفيثاغوريين

منفصلة عن الجسد بلغة أرسطو ذاته ليس عندهم تلازم ضروري بين الهوبل والصورة إذ لو صح هذا التلازم ضرورة لكان التناقض في محله ولكن حين لا يصح فلا وجه

للتناقض مع العلم أن أرسطو مرتبك في شأن بقاء النفس الناطقة بعد الجسد كما في كتاب النفس ولعلنا نبليغ بيانه.

## منشورات جمعية الفلسفة

القول أي التناسخ لفيثاغورس نقتبس من ديوجين قوله " ويؤكد اكسينوفانيس ..... يقصون علينا أن فيثاغورس في أثناء مروره بكلب كان بدنه يرتجف من الضرب العنيف امتلاً قلبه بالشفقة عليه وقال لمن كان يقوم بضربه العبارة التالية: توقف يا هذا وكف عن ضربه بعنف، حيث أنه كان صديقا لي وكان روحا من النسيم لقد تعرفت على شخصيته من خلال سماعي لصوت عوائه"(ديوجين، 2014، ص38) وهكذا لم تعد النفس تلك القوة المحركة أو التي تحس أو اللاجسمية فحسب، بل هي ذات طبيعة متميزة عن البدن من جهة ولها صفة التناسخ<sup>29</sup> والجدير بالذكر أي من ناحية منطقية يبدو أن التناسخ جاء كضرورة لازمة قانونين فرضهما الواقع اليوناني الأول لا شيء يصدر عن لا شيء والثاني قولهم بأن النفس مبدأ الحركة<sup>30</sup> ويبدو من النصوص اليونانية وبعض الدراسات حول الديانة القديمة لليونان فإنهم منذ القدم اعتقدوا بأن النفس بعد أن تفارق الجسد فهي إما أن تذهب للعالم السفلي أو تهيم في الأرض على هيئة لعنة عندما لا تدفن بشكل لائق، إلا أن الفلاسفة حاولوا تفسير الأمر بطريقتهم كما عرضنا لذلك منذ بداية هذا الفصل<sup>31</sup> وتأتي النظرية الأفلاطونية متوجة لهذا الحراك الفلسفي الطويل<sup>32</sup> في فيدون نجد نظرية مكتملة في ماهية النفس والأدلة على وجودها، وقبل النظر في طبيعة النفس كما وردت في المحاوراة أذكر حجة الأضداد والتي استنبط منها ثلاثة نقاط تعد نقلة نوعية في مبحث الإنسان ومجال (أعرف نفسك) أي الايغولوجيا حديثا<sup>33</sup> يسمي أفلاطون هذه المحاججة بالأضداد وهي أن لكل شيء من حيث الوجود له ضد يتعارض معه، الكون والفساد الظلام والنور الموت والحياة العدالة والظلم وهلم جرا فإذا كان ذلك كذلك فهذا يعني أن الحياة تأتي من موت

<sup>29</sup> لم يسع في هذا البحث أن نسجل مفهوم النفس كما هو في الملاحم الكبرى مثل جلجامش والإلياذة والشاهنامة وغير ذلك ولعل يكون لنا وقفة.

<sup>30</sup> سنرى أفلاطون يثبت خلود النفس في فايدروس من خلال مفهوم الحركة.

<sup>31</sup> من الآن إلى نهاية الفصل سأذكر على عجلة مفاهيم النفس عند أفلاطون وأرسطو وابن سينا وديكارت حتى يتسع البحث لبقية النقاط.

<sup>32</sup> سوف اعتمد على تقسيم ذيوغنيس ليرتيوس في تقسيم وتمرحل محاورات افلاطون والتي تناولت مفهوم النفس وهي كالتالي: فيدون فايدروس والجمهورية.

<sup>33</sup> من المهم أن أذكر في هذا السياق بأن هذا البحث في جزء منه يحاول تحرير الايغولوجيا من سلطة الميتافيزيقا بكل تجلياتها وخاصة في كمالها مع الأنا المتعالية

لمنح الظاهرية وسوف تتضح رؤية الباحث نهاية هذا الفصل.

## منشورات جمعية الفلسفة

يسبقها وأن الموت يأتي من حياة تسبقه وعليه فلا ينقطع الوجود ومن ثم فالنفس خالدة، ومن هذه

الحجة نستنبط ثلاث نتائج ضرورية وهي:

أ- تناسخ الأرواح حيث أن الأضداد لا تقف عن صيرورتها

ب- المكان (هاديس) الذي يسكنه الأموات قبل حلولهم في الأحياء

ت- خلود النفس وهي غاية أفلاطون

فهذه جملة النقاط التي ظفرنا بها من خلال هذه الحجة الأفلاطونية، وبقي أن أضع تمييزاً لماهية النفس وعملها في هذه المحاور، وهذا التمييز هو البعد الاستمولوجي والبعد الإتيقي للنفس. أما الأول وهو في غاية الأهمية لتاريخ الفلسفة بعامة ولماهية النفس في هذه المرحلة خاصة وأعني النفس بوصفها محل الحقيقة أو ما يتقوم بها الحقيقة "والآن ماذا تقول يا سيمياس فيما يلي؟ أنثبت وجود شيء يكون عادلاً بذاته أم ننكره؟ اننا نثبته بكل تأكيد وحق الإله زيس! وهلا نثبت كذلك وجود شيء هو جميل وخير؟ كيف لا؟ وهل من المحقق أنك الآن لم ترق شيئاً من هذا القبيل بعينك؟ فأجاب كلا بالمرّة" (أفلاطون، 2015، ص 34 و 35) أي أنه بالحواس لا تدرك الحقيقة أي الكليات إنما بالعقل "لدينا البرهان على أننا إذا أردنا أن نعرف شيئاً ما معرفة خالصة يجب علينا أن نفصل عنه وأن ننظر إلى الأشياء في ذاتها بالنفس ذاتها" (36) وهذا ما يعده أفلاطون انفصال النفس عن البدن لإدراك الحقيقة في ذاتها. أما الجانب الإتيقي فهو شجاعة الفيلسوف إزاء الموت فالموت حسب هذه النظرية حول هو انفصال النفس عن البدن، والفيلسوف هو من يتدرب على هذا الانفصال أي يتدرب على الموت " أولئك الذين يشتغلون بالفلسفة بمعناها الحقيقي إنهم يتدربون على الموت" (أفلاطون، 2015، ص 39) ومن ثم فخلاصة هذه المحاور أن الفيلسوف ليس عليه أن يخاف الموت فهو ميت منذ البدء، ومن ثم يكون التطهير بنفي الجسد والتدرب على الموت " وفي الواقع أن النفس لا يكون معها من شيء ما عندما ترحل عند هاديس أكثر من تكوينها الخلقي" (أفلاطون، 2015، ص 106) ونرى في محاوره فايديروس حداً لماهية النفس يبدو أن أفلاطون استمدّه من حجة الأضداد فهي " الحركة الذاتية هي ماهية

## منشورات جمعية الفلسفة

النفس" (افلاطون، 2000، ص62) ثم يعرض أسطورة وهي مجاز يصور طبيعة النفس<sup>34</sup> بأن النفس بمثابة جوادين مجنحين أحدهما مطيع والآخر في هياج مستمر أما قائد العربة فهو العقل أو الحودي، والأجنحة المحضة لا يظفر بها إلا الآلهة، بينما البشر تار في سقوط وتارة يطلعون على الحقائق الأزلية، والتذكر هو وسيلة الإنسان لبلوغ المثل<sup>35</sup> وإلى هنا أجد من الضروري الإشارة إلى أن الجسد بدأ بالظهور في هذه المرحلة ولكن بشكل سلبي، وأما قبل أفلاطون فقد بينا ما هو معنى الطبيعة<sup>36</sup> وفي الجمهورية سيتضح بكل وضوح تصور أفلاطون لماهية النفس " فلنا الحق إذن في أن نؤكد تميز كل من هذين المبدئين عن الآخر فأما المبدأ الذي تفكر به النفس فلنسمه العقل، وأما ذلك الذي تحب به وتجويع به وتعطش وتتعرض لكل الانفعالات فنسميه شهوة لا عاقلة" (افلاطون، 2005، ص313 و314) ثم يكمل " لا بد أن يكون الغضب هو الجزء الثالث" (315) فالنفس إذن مركبة من ثلاث قوى العاقلة والشهوانية والغضبية، وليس الجسد عنده إلا فائض عن الحاجة<sup>37</sup> فغاية الرياضة البدنية والموسيقى تطويع وتهذيب قوى النفس، فالموسيقى تلين الجانب القوي من النفس والغليظ، بينما الموسيقى تجعلنا أكثر رقة فلم يجعل أفلاطون شيئاً للجسد " فهل تعتقد يا جلوكون أن التربية التي تقوم على الموسيقى والرياضة البدنية هدفها كما شاع الاعتقاد تنمية الجسم بالثانية وتهذيب النفس الأولى؟ فأني هدف آخر تظنها تسعى إليه؟ من الجائز جداً أن يكون هدف الأثنين معا هو النفس" (278) وحتى نللم شتات ما ذكرناه حول النفس عند أفلاطون فمن المناسب أن نقول بأن نظريات النفس ومن ثم البدن جاءت على ثلاث مسارات أو سياقات الأولى حيث تكون النفس ذات بعد ابستمولوجي واتيقي فهي تدرك الكليات وخالدة وعليها أن تتطهر من الجسد وهذا ما ذكره أفلاطون في فيدون، والسياق الثاني جاء ذكره في

<sup>34</sup> من المعلوم لكل من له دراية بالمتن الأفلاطوني بأن للأسطورة حضور في محاوراته كالجمهورية وطيماس وفيدون وفايدروس الخ ومن وجهة نظري لا تعبر الأسطورة عند افلاطون عن ايمان خرافي بل إشارة ابستمولوجية إلى عجز العقل عن بلوغ كنه بعض المسائل وذلك يتضح عندما يبدأ افلاطون بعرض اسطورة ما في محاوراته فهو غالبا سبقها بمقدمة تشير الى صعوبة المبحث الذي يبتغيه.

<sup>35</sup> سيكون لهذا التصوير المجازي أثر بالغ على أفلوطين صاحب التاسوعات والمتصوفة بعامه.

<sup>36</sup> أود تذكير القارئ بأن غاية المبحث هو وضع منهج ينسجم مع ماهية الإنسان وذلك من منطلق هذه القاعدة (كل خطاب يضمير ماهية للإنسان) فالمنطلق

الأرسطي لن يكون له معنى لو لم يكن الإنسان ذا طبيعة ناطقة أو حيوان ناطق لديه القدرة على أدراك الوجود المطلق والكليات.

<sup>37</sup> هذه المسألة سيتعرض لها نيتشه بالنقد الشديد وقد كشف عن رغبته بقلب ترابلية افلاطون في كتابه هذا هو الإنسان

## منشورات جمعية الفلسفة

فايدروس وهي محاورة تهتم بالخطابة أي " فن قيادة النفوس " وإذا كانت الخطابة تهتم بالتراكيب اللغوية والحجاج وغير ذلك من أساليب البيان فهي بحاجة سلفا لتصور ما عن ماهية الإنسان<sup>38</sup> فجاءت النفس هنا بوصفها جوادين لهما أجنحة وهي رمزية على ما للبيان من قدرة على بلوغ المثال أو المكوث عند الأشياء الأرضية، لذلك ليس من الدقيق أن يقال بأن أفلاطون ضد الخطابة والفن<sup>39</sup> بل هو فضل المحاكاة الصادقة والجمال الذي يحاكي شيئا صادقا كما وضح في ذات المحاورة، المهم أن النفس هنا بحاجة إلى قيادة العقل حتى تسيطر على جانبيها، ولما كانت الجمهورية تبتغي مفهوم العدالة صار من اللازم أن يبحث عن عدالة المرء في عالمه الصغير قبل تسجداته في الكل الذي هو الدولة فصارت النفس منقسمة على عدد طبقات الجمهورية من فلاسفة وصناع ومحاربين. والخيط الناظم لكل هذا هو أن البدن جزء عرضي على النفس وعلى النفس أن تخوض عملية التطهير حتى تدرك الحقائق الأولى، وأن هناك جانبيين لا عقليان بحاجة إلى سيطرة وقيادة العقل وهذا هو معنى "ضبط النفس" أو " العناية بالنفس".

6- أما مفهوم النفس عند أرسطو فقد أخذ بعدا شموليا<sup>40</sup> فالنفس " كمال أول لجسم طبيعي آلي" (أرسطو، 2011، ص43) فهي صورة الجسد وماهيته، وقد قسم النفس إلى قوى ثلاث وهي القوة الغذائية والمعنية بالتغذية والنمو، والقوة الحاسة، والقوة الناطقة، ولكل قوة طبيعة أو ماهية<sup>41</sup> ما يهمني هنا هو أن أسجل هذا الحدث الذي سيكون له تداعيات فلسفية وهو " وذلك قد أصاب من زعم بأن النفس مكان الصور" ثم يقيد الأمر " لا يصدق على النفس بكليتها بل على النفس العاقلة" (أرسطو، 2011، ص109) وهذا الحدث يعني أمرين:

<sup>38</sup> وهذا مقام مناسب يوضح كيف يبتغي مقالا في المنهج الفلسفي خيطا هاديا من خلال ماهية النفس قبل القول في المنهج

<sup>39</sup> كما يشاع بأنه طرد الشعراء من جمهوريته

<sup>40</sup> سوف نختصر هنا بما يناسب البحث.

<sup>41</sup> يصعب ذكر تفاصيل كل قوة فالجمال لا يتسع.

## منشورات جمعية الفلسفة

1- أن الحقيقة لها (مكان) غير الجسد والمادة وهو ما سيوافق عليه أرسطو أفلاطون كما ذكرنا في

محاورة فيدون

2- مفهوم الصورة image أو الشكل form الذي سيحدد ماهية الحقيقة فيما بعد

7- فيما يخص (1) فهذا ما خلق في تاريخ الفلسفة طريقا للاستبطان الداخلي من أجل بلوغ ماهية النفس بمعنى أنه يكفي أن نفكر ونخوض في الأعماق حتى ندرك من نحن ومن نكون " في الواقع الفكر والقول واحد<sup>42</sup> إلا أن الحوار داخل النفس بينها وبين ذاتها الجاري بلا صوت هذا الحوار بالذات سميناه فكريا" (افلاطون، 2014، ص182) وسوف أعرض نموذجين لهذا التصور الجاري لهذا اليوم أي الاستبطان من أجل معرفة الذات.

8- يقول ابن سينا " إرجع إلى نفسك وتأمل إذا كنت صحيحا بل وعلى بعض أحوالك غيرها بحيث تفتن للشيء فطنة صحيحة هل تغفل عن وجود ذاتك ولا تثبت نفسك؟ ما عندي أن هذا يكون للمستبصر حتى إن النائم في نومه والسكران في سكره لا تعزب ذاته عن ذاته وإن لم يثبت تمثله لذاته في ذكره، ولو توهمت ذاتك قد خلقت أول خلقها صحيحة العقل والهيئة وفرض أنها على جملة الوضع والهيئة بحيث لا تنظر أجزاءها ولا تلامس أعضاؤها بل هي منفردة ومعلقة لحظة ما في هواء طلق وجدتها قد غفلت عن كل شيء إلا عن ثبوت أنيتها" (ابن سينا، 1947، ص305 و306) ومن جهة أخرى يقول ديكارت " واعتقادا بأنني عرضة للخطأ مثل أي سواي نبذت كل التي اعتبرتتها من قبل براهين صادقة بوصفها حججا خاطئة وأخيرا لما رأيت أن الأفكار نفسها التي تكون لنا في حال اليقظة يمكن أن تنتابنا ونحن نيام دون أن تكون من بينها فكرة واحدة صحيحة عزمت على أن أعتبر أن كل الأشياء التي تسربت إلى ذهني لا تزيد حقيقة عن أضغاث الأحلام غير أنني سرعان ما تفتنت بعد ذلك إلى أنني كنت أسعى هكذا إلى التفكير بأن كل شيء خاطئ فإنه من الضروري حتما أن أكون أنا الذي فكرت ذلك شيئا ما ولما رأيت أن هذه الحقيقة أنا أفكر إذا فأنا كائن على نحو من اليقين والثبات بحيث لا نستطيع أن نزعزعها أكثر افتراضات الربيين شططا حكمت بأنني أستطيع

<sup>42</sup> وهذا التطابق بين الفكر والفضية سيشكل ماهية الحقيقة حتى يومنا هذا وخاصة عند التحليليين وسوف نأى على نقده في المنطق.



## منشورات جمعية الفلسفة

قبولها دون تحفظ بوصفها أول مبدأ للفلسفة التي كنت أبحث عنها" (ديكارت، 2008، 159 و 160

و 161 و 162 و 165 و 166)

9- هذه هي نظريات النفس وجملة ما ظفرنا به بما يتناسب والمقام، فقد مرت نظريات النفس بمراحل نذكرها:

أ- مرحلة اللاتمايز بين النفس والجسد

ب- مرحلة التمايز وهي على ضريين

1- التمايز الفلسفي 2- التمايز الثيولوجي

وعن التمايز الديني هناك فرعين أي الربوبي وأصحاب الملل.

وما يهمننا كثيرا في هذا البحث أن النفس كانت شرطا ضروريا لقبول الحقيقة وتبع ذلك ممارسات عملية كتهيؤ لهذا القبول وهو ما سمي بالعناية بالنفس وضبط النفس والاستقامة، وهذا المبدأ الاستمولوجي كان ممهدا لولادة المنطق الصوري بل هو شرط له من جهة التطابق بين النفس والوجود المطلق أو الحق بقي فقط أن أعطي نبذة للنفس التي توصل إليها الباحث، إلا أن من ضروريات البحث عندنا أنه ليس هناك جواب ناجز ومغلق، وهذا ما سيتبين في فصل المنطق<sup>43</sup>

10- ذكرت في بداية البحث بأن سؤال الماهية<sup>44</sup> يلقي بنا مباشرة في أرض الميتافيزيقا، ولم أبين كيف يكون ذلك، أما الآن فمن الواضح أنه لم يكن ممكنا أن يكون "للحقيقة" معنى دون افتراض ماهية ثابتة وهي "النفس" والتي بها يدرك الإنسان "الكليات" تصور الإنسان وكيف يكون يحدد ثلاث أمور تباعا وهي الحقيقة والعالم والمنطق، وكنت قد وضعت الإنسان و "ماهيته" طريقا نحو هذه الغاية،

<sup>43</sup> ليعذرني القارئ فأنا مضطر للاختصار بقدر طاقتي بحيث لا أدخل بضرورات البحث العلي.

<sup>44</sup> الماهية على ما يظهر بدأت منذ فيثاغورس عندما قال بالايديوس أي الشكل أو الصورة فسوف تؤخذ هذه المفردة فيما بعد لوصف عالم المثل ومفهوم

الصورة عند ارسطو.

## منشورات جمعية الفلسفة

ولا يكفي هذا المقام في سرد العلاقة بين ماهية الإنسان وبقية النسق الفلسفي<sup>45</sup> وسوف يكون الفصل التالي في المنطق، وبه نختم هذا البحث.

مسلمات<sup>46</sup>

1. من الممكن أن نحصي تأويلات ماهية الإنسان في أربع تصورات محورية وهي:

أ- الإنسان بوصفه حيوان عاقل

ب- الإنسان بوصفه خلق على صورة الإله

ت- الإنسان كإنتفاح أو الدارين عند هايدغر

ث- الإنسان بوصفه كائناً ينتمي للطبيعة التي وجد فيها أي التصور التطوري<sup>47</sup> للكائنات

ولن أقول رأياً مسبقاً بل سيتضح ذلك من خلال المسلمات التي سأضعها تباعاً وبعد ذلك استنبط منها القضايا اللازمة، وغايتي أن يكون للفلسفة منهجاً قوياً يجعلها قادرة على مسايرة العلم بمعناه الحديث .

1- الطبيعة هي كل ما هنالك

2- الطبيعة هي مجموع ذراتها

3- ليس هناك وجود أو موجود ولا وجود بل هناك حدث event

4- للطبيعة قوانين حتمية نسبية

5- المادة إما قائمة بذاتها أو غيرها والمادة هنا لاهي قائمة بذاتها ولا غيرها

<sup>45</sup> مثلاً نجد سبينوزا في الرسالة يقر بأن الإنسان روح وبها يدرك الروح، وكانط وجد في الإنسان كائن مزدوج على غرار ديكارت فقال بعالم الغايات وعليه قام

بتأسيس ميتافيزيقا الأخلاق وفرق بين النومين والفينومين، وكذلك هيغل الذي قال بتجلي الروح عبر التاريخ قال بالأنا المتعالية وغير من مفهوم الجزهر وجعله ذاتاً جدلية،

وكذلك فيورباخ لما وجد أن الإنسان كائن سيكولوجي فسر الأمور الماورائية بوصفها إسقاطات وقس على ذلك.

<sup>46</sup> لا يسع المقام لذكر النقد الموجه لنظريات النفس المذكورة كما أنني لا أستطيع ذكر تفاصيل المنطق من جهة أسسه العميقة أي الميتافيزيقا وتفروعاته

الدقيقة المنطقية وسوف أكتفي بذكر المسلمات مع ما يبرهن على صحتها، والمسلمة ليست قولاً أخيراً بل هي قول يمهد السبيل للبحث وقد يتم تجاوز هذه المسلمات فيما بعد.

<sup>47</sup> لفظ "تطور" ليس دقيقاً فهو يوحي بأن للكائنات مسارا تطورياً أي يسير الإنسان وغيره نحو غاية محددة وكلما طال به الزمن اقترب من الكمال بينما الأدق

أن نقول "تغير" فهو يتغير بما يلائم البيئة التي يسكنها ولا يتطور.

## منشورات جمعية الفلسفة

6- المعرفة "تكيف" و "ملائمة" لا تطابق أو صورة image

7- الإنسان من جنس الطبيعة فهو والطبيعة سيان

8- القيمة أو القيم value منفعة غائبة جزئيا لا كليا

من المسلمة (1) نقر بأنه ليس هناك ما هو متجاوز للطبيعة، وأن لفظ الوجود مضلل حيث يشير إلى ما هو غير المادة، لذلك كان تأريخ الفلسفة ينزع إلى نقطة ثابتة مقابل المادة المتغيرة، ولهذه النقطة الثابتة مسميات عدة فهي الوجود الحق والوجود المطلق والأنا المتعالية والروح وغير ذلك، والطبيعة هي مجموعة من الذرات (2) فكل الأجسام كبيرها وصغيرها عبارة عن مركب من الذرات، ولا يقال لفظي "كبير" و "صغير" إلا بمعنى مقولة الإضافة فالصغير هو كذلك نسبة للجسد والكبير هو كذلك نسبة للجسد و "الإنسان" فعالم الجسميات الأولية صغير نسبة لنا وكبير نسبة لغيرنا لذلك نحن نميز بين الأجسام الكبيرة والصغيرة نسبة لنا وهذا ما سوف أطلق عليه "الواقعية المتعددة" وتعني أن الواقع الذي هو ذرات كما تبين من (2) يظهر نسبة لنا بطرق عدة ومثاله ليس الفيزياء الأرسطية التي تقر بالصور الجوهرية للأشياء كالنار التي ترتفع للأعلى والتراب للأسفل خاطئة بالجملة فهي صحيحة عند الحس المشترك أي دون تدخل الإنسان بصناعة بيئة "مجردة" كما فعل غاليليو في حركة الأجسام عندما جردها من مقاومة الهواء بمعنى أن حركة الأجسام التي تعود لمركزها الطبيعي بعد قهرها بقوة مؤثرة لا يتعارض مع كون الجسم يسير في خط مستقيم ما لم يؤثر عليه قوة خارجة عنه:

Everybody perseveres in its state of rest, or of uniform motion in a right line, unless it is compelled to change that state by forces impressed thereon (Isaac Newton, 1846, 83).

وبالجملة فكل ما "يحدث" هو يحدث وفقا لعلائقية بين الذات والواقع، وليس لهذا أي معنى مثالي كالقول: لا يكون الواقع إلا حين يوجد من يدركه. فمثلا الكلام بين شخصين ليس له وجود دون وجود الشخصين والمعضلة هنا في لفظ "وجود" لذلك نحن نضع بديلا لها "الحدث" فحين يصير الكلام فهو مشروط بهذين ولا يلزم عن ذلك نفي العالم أو الصفات الأولية منها والثانوية.

### منشورات جمعية الفلسفة

ووفقا للمسلمة (3) فقد طابق تأريخ الفلسفة بين المعرفة والوجود أو القول والخطاب والقضية الخ منذ بارميندس الذي قال ليس هناك إلا الوجود واللاوجود لا يمكن أن يوجد وهكذا سار أفلاطون وأرسطو الخ فالمعرفة عندهم يتقدمها معلوم والمعلوم الأوليات أو البدهيات أو المسلمات ولا يمكن البرهنة عليها، بمعنى آخر العلاقة بين الكائن والعالم هي علاقة معرفة (6) بينما أرى أنها علاقة "تكيف" و "ملائمة" لذلك جاء لفظ الحدث حتى يزيح لفظ الوجود وكل تداعياته المزيفة، ونظرية الوجود مرت بثلاث محطات كبرى وأعني الأفلاطونية والهيغلية والهايدغرية، وكل هؤلاء كان خيظهم الهادي لمعرفة الإنسان ومن ثم منهجهم يتأسس على مفهوم الوجود، فالوجود يضع تراتبية قيمية بين الوجود الحق والوجود الحسي، وحتى من قال بالوجود المحايث ونفى الجوهرية عن الإنسان ومن ثم أنه المتعالية وأعني سبينوزا فقد أفترض جوهرًا لامتناهيا تستند عليه الطبيعة فليست الطبيعة عنده مجموع الواقعات<sup>48</sup> بل قوانين ثابتة وهذا يتعارض مع (2) و (3) و (5) وهكذا فالحدث بديل عن نظريات الوجود، ولا يعتبر الحدث مثيرا كما عند السلوكية بل هو مجموع حركة الطبيعة بذراتها وعند درك هذه الأحداث تكون "مثيرات" ولكل مثير "استجابة" لذلك كل ما في الطبيعة حتمي (4) حتى لو كان هناك تعارض بين ثلاثة ضروب من نظريات الكون (نيوتن، النسبية الخاصة والعامة، الكوانتم) فمثلا مبدأ التراكب في فيزياء الكم والذي يعتمد على مبدأ اللايقين أو اللاتحدد عند هايزنبرغ، و<sup>49</sup> ينص هذا المبدأ على أنه في عالم الجسيمات الأولية لا يمكن تحديد خاصيتين بنفس الدقة فلو أردت تحديد سرعة الجسيم ومكانه فلن تستطيع تحديدها معا بدقة عالية، وعليه فمبدأ التراكب يقول بأن الجسيمات تأخذ جميع الخاصيات الفيزيائية قبل رصدها، وهذا يعني أن قطة شرودنغر التي هي حية وميتة في نفس الوقت تنهار دالتها الموجية بمجرد فتح الصندوق، والذي أريد إثباته أنه القوانين هنا حتمية وتتدرج هذه الحتمية من الجسيمات الأولية صعودا للأجسام الأكبر، والحتمية في الكون بعامة ليست مطلقة فهي تتغير بحسب تغير الكون لذلك علينا أن الدقة والصرامة في لغة العلم فنقول "حتمية نسبية".

<sup>48</sup> هنا جمع واقع وضعت واقعات ولم أقل وقائع حتى لا يلتبس اللفظ مع مفهوم الوقائع كما نجده في الفلسفة التحليلية وفيتجشتين في الرسالة نموذجا.

## منشورات جمعية الفلسفة

لذلك ليس هناك أيضا ما هو قائم بذاته أو بغيره (5) إذ القائم بذاته لا يحتاج لغيره وهو ثابت في بقاءه، والحاجة لجسم آخر يعني أن قوامه متغير لا ثابت، وحتى لا نقع في مبدأ "الثبات خلف التغير" تنص المسلمة (5) على نفي ذلك فالأشياء تتغير مع نفي المرجع التي تستند عليه وحتى يكون الأمر واضحا نقول أن العلاقة بين الموضوع والمحمول علاقة تغير يكون فيها الموضوع نافيا لنفسه دون لزوم الثبات بعد النفي وهذا ما أسميه بالجدل المتناهي أو بعلم الجدل والذي ينصب على نقد الجدل عند أفلاطون وهيغل حيث جعلنا منه أداة منطقية تنتهي إلى الثبات أي الهوية في التغير، وهذه المسلمة مستنبطة من مبدأ النسبية عند غاليليو واينشتاين حيث مثلا لا حركة ولا سكون إلا نسبية لإطار مرجعي فالحركة والسكون تتحد وفقا لمسند ولأن المسند ليس كائنا مطلقا وباقي للأبد فهذا يعني أن ثباته نسبي وهذا واضح من (5) ولنمثل للأمر بنقطة فلو فرضت نقطة يخرج منها خط وبداية الخط (أ) وينتهي عند (ب) فسوف ينتهي (أ) ويبقى عند (ب) وسوف ينتهي (ب) ويصل عند (ج) وهكذا يكون النفي والشطب دون فرض اللانهاية حتى لا يقال تسلسل لامتناهي فالكون عندي متناهي، وهذه المسلمة (5) ضرورية لفهم فيزياء العالم فقد لاحظنا في مبحث النفس كيف كان الفلاسفة يفسرون العالم برده إلى أصل واحد أو أكثر كالقول بالماء والهواء أو التراب أو النار أو المثل والصورة وكذلك الذرات التي لا تنقسم فسؤال بدهي: ما القول الذي يراه هذا النسق<sup>50</sup> في أصل العالم؟ سوف أضع الإجابة من قول لهايزنبرغ "الجسيمات العنصرية في الفيزياء الحديثة تحمل كتلة وبما أن الكتلة والطاقة بحسب النظرية النسبية شيء واحد ففي وسعنا القول إن الجسيمات العنصرية كلها مركبة من طاقة وهذا.

يعني أننا نستطيع ان نعد الطاقة الجوهر الأساسي أو المادة الأساسية للعالم (هايزنبرغ، 2011، ص68) فليس هناك "جوهر" طبيعي كان أو ميتافيزيقي، فالعلم الأول هو الفيزياء وهناك ميتافيزيقا طبيعانية وهي تعني جملة من القوانين الظرفية التي بها نفس العالم من أجل العيش، وهذا يقودنا إلى المسلمة (7) والتي تنص على أن الإنسان والطبيعة شيء واحد ولا مثل أو نماذج متعالية عليه أو جوهر محايد يسبقه فما يكون للطبيعة من قوانين تنطبق على الإنسان أيضا، وقد طرح روجر بنروز سؤالا: هل تكفي قوانين الطبيعة لتفسير العقل؟ أولا لا يهم أن تكون القوانين كافية فالمستقبل لم ينتهي بعد وهذا يعني استحالة الاستقراء التام، ومن جهة أخرى

<sup>50</sup> وللفظ نسق هنا يؤخذ بتحفظ فليس النسق رؤية شاملة ومغلقة للعالم بل على الضد النسق هو شرط لإتمام البحث وليس هو الشرط الثابت والأخير بل

يتغير بتغير البحث والتقصي وهذا المعنى قريب من منطق البحث الذي وضعه ديوي.

## منشورات جمعية الفلسفة

فالإنسان والعالم يتسميات بالتناهي والتغير لذلك حتى قوانين الطبيعة لا تعد ثابتة بإطلاق بل هي كذلك نسبياً وهذا الأمر نجد تفسيره في قوانين الديناميكا الحرارية.

وحتى لا يقع لبس بين المسلمة (6) وبين تفسيرنا للكائن أقول نفي التطابق هو نفي معرفة أي القول بأن "العقل" يساوي المادة أو الواقع أي الرؤية التي تقول بمفهوم الصورة كالقول بأن الهيولى والصورة لا تنفك إلا في الذهن وليست كذلك في الواقع وغير ذلك من المقولات المستنبطة من علاقة التطابق، لذلك تأتي مسلمة (7) لتفسر بأن الأمر ليس تطابق معرفي بل فيزيائي بمعنى ما يقال على الطبيعة يقال أيضاً على الإنسان فقوانين الكوانتم تطبق على الذرات التي يتركب منها الجسد البشري وقس على ذلك.

وتأتي مسلمة (8) لتعترض على أمرين مفهوم الذاتية الحديثة أي أن الإنسان هو من يضع قيم الأشياء كما في الأنا والالأننا عند فيخته والوجود الذي يسبق الماهية عند سارتر فتري أن القيم لها ركيزيتين أساسيتين الأولى أنها تتركب من علاقة الجسد بالعالم كالفازات فقيمة اليمين جاءت من وضعية الجسد وكذلك الشمال وقس على ذلك<sup>51</sup> أما الأمر الأخر الذي تعترضه (8) فهو الوعي المباشر بالأننا وكذلك نفي الوعي المباشر بإطلاق وعليه فهناك وعي جزئي، والقيمة تأتي من جراء غياب "الوعي" أو حضوره فكل شيء أداة تخضع لعملية "التطور" فمن الأشياء ما تعرف قيمته حضوراً وأخرى لها قيمة غائبة، وفي هذا المعنى يقول هوركهايمر "يمكن أن نقلب المبدأ الذي يقول إن الأدوات امتداد لأعضاء الإنسان بالقول إن الأعضاء هي أيضاً امتداد للأدوات" (هوركهايمر، 2015، ص 316 317) فالعلاقة بين الأدوات والجسد علائقية بين طرفين، والقيم في الأدوات لا تتحد من ذاتوية الإنسان وفي ذات المعنى نجده عند هايدغر وأعني الكينونة تحت اليد.

<sup>51</sup> لا أستطيع الإطالة هنا حتى لا أطيل الرسالة أو البحث.

## المراجع:

- أفلاطون(2000)محاورة فايديروس، ترجمة أميرة مطر، دار غريب
- أفلاطون(2001)محاورة فيدون، ترجمة عزت قرني، دار قباء.القاهر
- افلاطون(2013)محاورة الثيئيتتس، ترجمة فؤاد بربارة، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب.سوريا
- افلاطون(2005)الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.مصر
- افلاطون(2014)السفسطائي، ترجمة فؤاد بربارة، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب.
- هايدغر(2015) مدخل إلى الميتافيزيقا، ترجمة عماد نبيل، دار الفارابي.لبنان
- هايزبرغ(2011) الفيزياء والفلسفة، ترجمة صلاح حاتم، دار الحوار سوريا
- هوركهايمر(2015)النظرية التقليدية والنظرية النقدية، ترجمة ناجي العونلي، منشورات الجمل بيروت
- ديكارت(2016)تأملات ميتافيزيقية، ترجمة كمال الحاج، دار عويدات بيروت
- ديوجين اللاترئي(2014)حياة مشاهير الفلاسفة، ترجمة إمام عبد الفتاح، دار المركز القومي للترجمة مصر
- أرسطو، السماع الطبيعي، ترجمة عبدالقادر قيني، دار أفريقيا الشرق المغرب
- أرسطو(2011)كتاب النفس، ترجمة احمد فؤاد الأهواني، دار المركز القومي للترجمة مصر
- ديكارت(2008)حديث الطريقة، ترجمة عمر الشارني، المنظمة العربية للترجمة بيروت
- ابن أبي أصيبعة(1998)عيون الانباء في طبقات الأطباء، دار الكتب العلمية
- ابن سينا(1947)الإشارات والتنبيهات، دار احياء الكتب العربية
- أحمد الأهواني(2020)فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، دار آفاق المصرية
- الجرجاني(2014)التعريفات، دار الطلائع
- الشهرستاني(2013)الملل والنحل، منشورات الجمل بيروت
- فوكو(2013)الكلمات والأشياء، ترجمة مطاع الصفدي و سالم يفوت و جورج ابي صالح و كمال اسطفان، مركز لإنماء القومي ودار الفارابي
- أرسطو(2009) الميتافيزيقا، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار نهضة مصر

